

المحاضرة الخامسة: علاقة الإطار النظري بالجانب الميراني للبحث

تمهيد:

البحث العلمي هو عملية شاملة تجمع بين التحليل النظري والتطبيق العملي للوصول إلى فهم متكامل للقضايا والمشكلات التي تواجه المجتمع، يعتبر الإطار النظري أحد الأجزاء الجوهرية التي تشكل قاعدة المعرفة الأساسية التي يستند إليها الباحثون في جمع وتحليل البيانات.

بفضل هذا الإطار، يمكن تحويل النظريات والأفكار إلى تطبيقات عملية تؤثر بشكل إيجابي على المجالات المختلفة، سواء الاجتماعية أو التكنولوجية.

أولاً- الإطار النظري:

1. تعريف الإطار النظري:

الإطار النظري هو هيكل فكري يقدم تفسيراً للتفاعلات بين المتغيرات التي تشكل محور البحث، يمثل إطاراً مرجعياً ينظم كيفية فهم الظواهر ويقدم تفسيراً للعلاقات بين المفاهيم المختلفة التي يتم دراستها.

عبارة أخرى، يعد الإطار النظري بمثابة خريطة فكرية توجه الباحثين نحو فهم أعمق للمشكلة المدروسة، ويشمل النظريات والمفاهيم التي تستخدم لتوضيح وتفسير العلاقات بين المتغيرات. (Mertens, 2018, p. 112)

عند إعداد الإطار النظري، من الضروري أن يقوم الباحث بتحديد المفاهيم الرئيسية وتوضيح كيفية ارتباطها بالمشكلة البحثية، ثم بناء نموذج يوضح العلاقات بين هذه المفاهيم والمتغيرات.

2. أهمية الإطار النظري:

الإطار النظري يلعب دوراً أساسياً في توجيه البحث وتحقيق أهدافه، تتجلى أهمية الإطار النظري في العديد من الوظائف الأساسية: (Neuman, 2017, p. 84).

أ. تحديد مشكلة البحث:

يوفر الإطار النظري أساساً لتحديد المشكلة البحثية بدقة عن طريق ربط الأدبيات السابقة بال نقاط غير المستكشفة، هذا يسمح للباحثين بفهم الفجوات المعرفية وضمان توجيه البحث نحو قضايا جديدة و مهمة.

ب. صياغة أهداف البحث:

يساعد الإطار النظري في تحديد أهداف البحث بشكل واضح ومحدد فالأهداف التي تنبثق من إطار نظري قوي تكون عادة أكثر واقعية وقابلة للقياس، مما يعزز من فعالية البحث وتحقيق نتائجه.

ج. توجيه الباحث نحو الفرضيات:

يسهم الإطار النظري في صياغة فرضيات علمية تعتمد على الأدبيات والنظريات القائمة، يتيح ذلك للباحثين اختبار فرضياتهم بطريقة منهجية مدعومة بنظريات ومفاهيم محددة.

د. توجيه البحث العلمي:

يوفّر الإطار النظري هيكلًا منطقيًا يوجه البحث من خلال تحديد نطاق البحث وحدوده، هذا يساعد في تنظيم الأسئلة البحثية وضمان التناسق في جمع وتحليل البيانات.

ه. بناء الأطر المرجعية للبحث:

يقدم الإطار النظري مراجعة شاملة للأدبيات ذات الصلة، مما يساعد في بناء إطار مرجعي قوي يمكن من خلاله التعرف على الدراسات السابقة والفجوات البحثية

و. تفسير النتائج:

يمكن للإطار النظري أن يستخدم لتفسير النتائج التي يتم الحصول عليها من البحث، من خلال المفاهيم والنظريات المقدمة في الإطار، يمكن فهم كيف تتطابق النتائج مع التوقعات النظرية أو لماذا قد تختلف عنها.

3. مكونات الإطار النظري:

الإطار النظري يتكون عادةً من المكونات التالية:

- ✓ **المفاهيم الأساسية:** تشمل تحديد وتفسير المصطلحات الرئيسية ذات الصلة بالبحث، تعزز هذه المفاهيم من فهم الأسس النظرية للدراسة.
- ✓ **النظريات والمفاهيم السابقة:** يتضمن استعراض النظريات التي تدعم البحث الحالي وكيفية ارتباطها بالدراسات السابقة، يساعد هذا في بناء قاعدة معرفية متينة تستند إلى الأدبيات القائمة.

- ✓ **النماذج النظرية:** تطوير نماذج توضح العلاقات بين المتغيرات المختلفة، هذه النماذج تساعد في توجيه البحث نحو استكشاف هذه العلاقات بشكل منهجي.

4. خطوات بناء الإطار النظري:

لبناء إطار نظري قوي، يجب على الباحثين اتباع الخطوات التالية:

- ✓ **جمع الأدبيات السابقة:** يتضمن ذلك قراءة وتحليل الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع لتجمیع معلومات وافية حول المشكلات والنظريات ذات الصلة.
- ✓ **تحديد الفجوات البحثية:** يتم ذلك من خلال تحديد الجوانب التي لم تُبحث بعمق في الدراسات السابقة، مما يساعد في توجيه البحث نحو أسئلة جديدة و مهمة.
- ✓ **ربط النظريات بالبحث الحالي:** اختيار النظريات الأكثر ملاءمة وربطها بأسئلة البحث والفرضيات المطروحة، هذا يعزز من قوة الإطار النظري ويضمن توافقه مع أهداف البحث. (Maxwell, 2013, p. 99)

ثانيا- الجانب التطبيقي:

1. تعريف الجانب التطبيقي:

البحث الميداني هو عملية جمع البيانات مباشرة من الواقع، حيث يقوم الباحث بالتفاعل مع البيئة أو الأفراد أو الظواهر التي يدرسها، يتميز هذا النوع من البحث بتركيزه على الحصول على بيانات أولية غير متحدة مسبقا، مما يساعد في تقديم تفسيرات دقيقة مبنية على الواقع.

ووفقاً لما ذكره (Johnson & Christensen, 2022)، "البحث الميداني" يشمل جمع المعلومات من مصادر حية وواقعية مما يساهم في تقديم رؤى جديدة ومفيدة حول الظواهر التي يتم دراستها" (ص. 78).

البحث الميداني يعتبر ضرورياً في كل من العلوم الاجتماعية والطبيعية، حيث يتيح للباحثين فهم الظروف والسيارات التي تحدث فيها الظواهر، مما يمكنهم من تقديم تحليلات مبنية على بيانات حقيقية و مباشرة.

2. أساليب وتقنيات البحوث الميدانية:

تنوع الأساليب والتقنيات التي يستخدمها الباحثون في البحث الميداني، وتضم ما يلي:

أ. المسح:

تعتمد المسح على استخدام أدوات مثل الاستبيانات والمقابلات لجمع بيانات من عينات واسعة من الأفراد أو المجموعات، هذه الطريقة تمكن الباحثين من جمع معلومات كمية وتحليلها للكشف عن الأنماط والاتجاهات.

كما أشار (Davis, 2019) إلى أن المسح توفر للباحثين بيانات كمية هامة يمكن استخدامها لفهم الاتجاهات العامة والخصائص الشائعة في العينة.

ب. التجارب:

تعتبر التجارب من الأدوات الأساسية في البحث الميداني، حيث يتم فيها التحكم في المتغيرات لدراسة تأثيراتها على النتائج، هذا الأسلوب يوفر للباحثين القدرة على اختبار الفرضيات وتحديد العلاقات السببية.

فالتجارب تقدم فرصة للباحثين للتحكم في الظروف المختلفة وتحليل تأثيراتها على النتائج، مما يزيد من دقة النتائج العلمية.

ج. الدراسات الاستطلاعية:

تهدف الدراسات الاستطلاعية إلى تقديم نظرة أولية حول مشكلة بحثية أو ظاهرة معينة، تستخدم هذه الدراسات لتحديد المشكلات الأساسية وتطوير فرضيات مبدئية قبل الشروع في أبحاث أكثر تفصيلاً.

فالدراسات الاستطلاعية تساهم في فهم السياق الأولي للبحث وتساعد في توجيه الأبحاث المستقبلية.

3. أهمية الجانب الميداني في البحث:

تتجلى أهمية الجانب الميداني في البحث العلمي من خلال الأدوار التالية:

أ. تحقيق المصداقية العلمية:

البحث الميداني يعزز المصداقية العلمية من خلال توفير بيانات أصلية يمكن التحقق منها وتحليلها، هذا النوع من البيانات يساهم في دعم أو دحض الفرضيات المطروحة، مما يعزز من قوة النتائج ويعقلل من احتمالات التحيز.

كما أشار (Martinez 2022)، "المصداقية العلمية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقدرة على تقديم بيانات موثوقة من الواقع الميداني، مما يزيد من قيمة البحث وقوته" (ص. 89).

ب. جمع البيانات والمعلومات:

جمع البيانات هو وظيفة محورية في الجانب الميداني، حيث يتيح للباحثين الحصول على معلومات دقيقة و مباشرة حول موضوع الدراسة، هذه البيانات قد تكون كمية أو نوعية، وتساعد في تقديم فهم شامل للظاهرة المدروسة.

يمكن للبيانات الميدانية أن تبرز المتغيرات المختلفة التي تؤثر على الظاهرة وتقيم تأثيرها.

ثالثا- علاقة الإطار النظري بالجانب التطبيقي:

1. دور الإطار النظري في توجيه البحث الميداني:

الإطار النظري يعد أحد العناصر الأساسية التي توجه البحث الميداني، إذ يوفر الأسس النظرية التي يرتكز عليها البحث، يساعد الإطار النظري في توجيه عملية تصميم البحث بتحديد الأسئلة البحثية وصياغة فرضيات واضحة، كما يساهم في اختيار أدوات جمع البيانات المناسبة.

كما أن الإطار النظري يعطي البحث الميداني سياقا عميقا، حيث يوجه الباحثين في كيفية التعامل مع البيانات وجمعها، وبدون إطار نظري واضح قد يجد الباحثون صعوبة في تحديد نوعية البيانات الضرورية وأساليب التحليل المناسبة، مما قد يؤثر سلبا على جودة البحث ونتائجـه.

2. استخدام النظريات والمفاهيم لتفسير البيانات الميدانية:

بعد جمع البيانات من الميدان، يأتي دور الإطار النظري في تفسير هذه البيانات حيث توفر النظريات والمفاهيم أدوات تحليلية تساعد الباحثين في فهم العلاقات بين المتغيرات وتقديم تفسيرات للنتائج.

النظريات ليست مجرد خلفية للبحث، بل هي أدوات فعالة لتفسير البيانات الميدانية وربط النتائج بالمفاهيم السابقة. كما أشار إلى ذلك (Miller, 2020)، "النظريات تقدم إطاراً لتفسير البيانات الميدانية وتساعد في توضيح كيفية ارتباط النتائج بالمفاهيم السابقة" (ص. 88).

تستخدم النظريات لتحليل النتائج وتفسيرها بناءً على الفرضيات والنماذج النظرية، مما يوفر تفسيراً منطقياً وعميقاً للظواهر المدروسة، هذه التفسيرات تساعده في تقديم رؤى جديدة قد تساهم في تطوير النظرية أو تعديلها بناءً على الأدلة الميدانية.

3. أهمية التوازن بين الجانبين النظري والتطبيقي:

أ. تحقيق العمق والشمولية:

التوازن بين الجانبين النظري والتطبيقي يعزز من عمق البحث وشموليته، حيث يزود الجانب النظري الباحث بالإطار المفاهيمي الذي يوجه الفهم، بينما يوفر الجانب التطبيقي الأدلة العملية التي تؤكّد هذا الفهم.

وفقاً لما ذكره بدوي (2012)، "التوازن بين النظرية والتطبيق يعزز من قوة البحث من خلال دمج الفهم النظري مع البيانات العملية، مما يجعل النتائج أكثر قوة وموثوقية" (ص. 34).

ب. ضمان المصداقية والموثوقية:

تأثير التوازن بين الجانبين النظري والتطبيقي يمتد إلى تعزيز مصداقية وموثوقية البحث، حيث يوفر الجانب النظري الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في

تفسير النتائج، بينما يساهم الجانب التطبيقي في التحقق من صحة تلك النظريات على أرض الواقع.

ج. تعزيز الابتكار والإبداع:

التوازن بين الجانبين يعزز من الابتكار والإبداع في البحث العلمي، حيث يتيح للباحثين دمج الفهم النظري العميق مع التطبيق العملي، مما يفتح المجال لتطوير حلول جديدة واكتشاف ظواهر غير معروفة سابقاً.

التوازن بين النظرية والتطبيق يشجع الباحثين على التفكير الناقد والإبداعي مما يساهم في تقديم إسهامات جديدة في مجالهم.

د. تحقيق قابلية التطبيق:

البحث الذي يوازن بين الجانبين النظري والتطبيقي يكون أكثر قابلية للتطبيق في الواقع العملي، النظريات وحدتها قد تقدم فهما عاماً، ولكن تحتاج إلى أدلة ميدانية لدعم تطبيقها الفعلي.

من جهة أخرى، الدراسات التطبيقية بدون إطار نظري قد تفتقر إلى التنظيم والتوجيه، مما يجعل التوازن ضرورياً لضمان أن تكون النتائج عملية وقابلة للتطبيق في حل المشكلات الواقعية.

4. كيفية تحقيق التوازن بين الجانبين النظري والميداني للبحث:

أ. مرحلة تحديد المشكلة:

في هذه المرحلة، يجب على الباحث التأكد من أن المشكلة البحثية تأخذ بعين الاعتبار الجانبين النظري والتطبيقي، ينبغي أن تبدأ من إطار نظري يحدد المشكلة التطبيقية التي تحتاج إلى حل.

ينبغي أن تعكس المشكلة البحثية احتياجات كل من الجوانب النظرية والتطبيقية لضمان أن البحث سيكون ذات قيمة علمية وعملية.

ب. مرحلة مراجعة الأدبيات:

خلال مراجعة الأدبيات، يجب على الباحث البحث عن دراسات سابقة تتناول الجانبين النظري والتطبيقي، وذلك من خلال دراسة النظريات التي استخدمها الباحثون في أبحاث مشابهة وكيفية تطبيقها.

مراجعة الأدبيات التي تجمع بين الدراسات النظرية والتطبيقية تسهم في بناء إطار بحثي متكامل يعزز من قدرة الباحث على تحليل البيانات وتفسيرها بشكل شامل.

ج. مرحلة تصميم البحث وجمع البيانات:

عند تصميم البحث، يجب التأكد من أن طرق جمع البيانات ترتبط بالنظريات المستخدمة، ينبغي أن يكون تصميم أدوات جمع البيانات قادراً على اختبار الفرضيات النظرية، يجب أن يتصل التصميم البحثي بشكل مباشر بالفرضيات النظرية لضمان تحقيق توازن فعال بين النظري والتطبيقي.

كما أشار السعدي (2017)، "تصميم البحث يجب أن يرتبط بشكل وثيق بالفرضيات النظرية لضمان جمع بيانات تدعم أو تنفي تلك الفرضيات" (ص. 98).

د. مرحلة تحليل البيانات وتفسيرها:

أثناء تحليل البيانات، يجب استخدام الإطار النظري لتفسير النتائج، فالنظريات توجه عملية التحليل وتساعد في تحديد العلاقات بين المتغيرات.

بعد ذلك، يتم مقارنة النتائج مع النظريات السابقة للتأكد من مدى توافقها معها أو تقديم تفسيرات جديدة، يجب أن يكون تحليل البيانات مستنداً إلى النظريات المقدمة في الإطار النظري لضمان أن تكون النتائج مدروسة بالتحليل المنطقي والمعرفي.